الشمس خلف القضبان

بقلم مطاع صفدي

« الى رجال المهاجع والزنزانات والاقبية في سجن المزة . عرفتهم وعرفوني . ووعدتهم ان اكتب يوما عنهم وعني لذكرى الشمس خلف القضبان » .

انطلق وجهها الوردي (١) بوهج ابتسامة فياضة بنشوة خفية ، فضحتها تلك النظرات الشاردة التي توقفت اخيرا عند منظر واحد لا تبرحه . لقد كان ذاك هو الانسان الذي نما وجودها حول فكرة عنه لم تصدقها هي مرة ، بالرغم من بساطتها ووافعيتها ، فلم تكن لتحلم بالرجل الخارق . ولم تستعبدها صورة الرجل الفني ، ولا صورة الرجل الجميل او مالك قلوب النساء . لقد كانت تبحث عن الانسان الذي يفرض نفسه عليها دون قصد او تعمد ، بل حتى دون شعور منه بذلك .

وراحت تتغلغل هي بين اصداء الفاظه . وكان ينطلق في حديث ، لم تعد تدري اين بدأ وما الموضوع ، والى اين يؤدي . كان يكفيها انها تتموج على هذا الايقاع العميق المغلف ، بهالة من الظل . وهي تسبح اثر النبرة التي يقف عندها لحظة ، عند تلك النكأة الحلوة (طيب ، وماذا كنا نقول ، اتدرين ..) ثم ينسال ثانية عبر انعطافات مفاجئة ، تتفرع كلها من حديثه الاصلي ، وتنمو على ضفتيه كزهرات طفيلية ، ولكنها ذات ترشيح غامض حاد للحديث نفسه .

ويستنفد انفاس السيجارة في دقائق . ثم يضرب كفا بكف . يلتفت نحو جدار الزجاج . يلتقط بعض لمحات من الوجوه العابرة . ويمر بوجهها كذلك عابرا ، بالرغم من انها جالسة قبالته ، معه ، وحول منضدة واحدة ، وفي مقهى شبه صاخب .

ولم تكن بها حاجة لان يقدم لها من انتباهه اكثر مما يتطلب المحدث من رفيقه . ولاول مرة شعرت ان الرجل لا يأبه لحديثه ، ولوقع هذا الحديث في نفسها . ولا يكاد يحس بطربها . وهي كذلك ، لم تحاول ان تظهر له حماسة غير عادية ، خيفة ان ينقضي كل هذا الانطلاق الحر ، الذي يدفعه الى حديث منوع فريد ، الى نظرات طافرة على الاشياء والوجوه ، الى ان يعبث بهذا القلم الشمعي بين اصابعه ، والى ان يهتدي اخيرا لتلك الفرحة المعقدة التي تجتاح وجه ذلك الكائن الاخر امامه .

فيتأملها لحظات . يتوقف دفق الكلام . تتوقف الاصابع عن العبث بالقلم الشمعي . يطبق الفم . وتلقي العينان نظرة التساؤل بصورة خاطفة .

ولكن الكائن الاخر الذي يخاف ان يفقد كل شيء ، يجيب ايضا بنظرة تساؤل . وينتهي الوقف . ويتابع هو نشر نفسه دون وعي . وتتابع هي فرحتها الصامتة أمام العراء .. العراء الحقيقي !

**

وتفكر سلوى : ترى لو كان يعرفني حقا !

ثم يسيران جنبا الى جنب على شريط الرصيف الضيق . ويعبران بين الناس، خلال تجمعات الشباب . ويخترقان طغمة من الاشرار الصغار . ويلجان الوجوه حولهما ، بنظرات زندية . وتقف هي لكي تشتري بوظة . تسأله . يرفض . تأكلها وحدها . وليس ثمة شيء يغريه . وكذلك هي . ولكن الارصفة حافلة بالالوان والاكتاف المحترقة بلهيب البحر ، والاصوات المتقاطعة من شتى الالسن . وتدور به حول حي شبه خال .

يتوقفان امام واجهة غاصة بمختلف الاجهزة الكهربائية . تضغط على علبة الدخان والكبريتة . تحس الرطوبة على عنقها . تبادر يدها الاخرى الحرة بحركة نحو العنق . ورقبته ، هو ايضا عالية . وهي الى جانبه ، لا تصل حتى اسفل اذنه . وفي ظله ، تتنفس هواء البحر ، اذ يندفع عاليا من نهاية الحي الصاعد .

ويدوران حول منعطف اخر . انه لا يتحدث . ومع ذلك فهي تصغي . ادمنت الاصغاء . تستمع الان الى وقع حذائه الرتيب على احجار الرصيف . انه يسير بصورة عادية . اصوات حذائه هندسية الابعاد . رقبته عالية . وهي دون اذنه . وكتفه العريضة تحجب عنها المنظر الجانبي كله للشارع الضيق .

تحس انها محاصرة بين قامته ، وبين الواجهات الزجاجية اللامعة . تختصر التنفس . مع ذلك فهي تلهث . وخطواته تتباعد . ويصبح المسير الى جانبه يتطلب شبه عدو . ولو توقفت لن يشعر بها ، وسيتابع .

سقطت من يدها علبة الدخان . نظرت اليها ملقاة قرب ورقة قذرة . حركتها برأس حذائها الدقيق الابيض . رفعت بصرها اليه . كان هو يتزحلق بنعومة بليدة على طول ساقها ، ويرى الى حركة اصبعها من خلال الحذاء ، تدفع علبة الدخان الى ابعد من الورقة القذرة .

يتوقفان ، يتابعان . هبة من رطوبة البحر ، تهاجمهما من اعلى الحي الضيق . وبالبطء نفسه تحس الخدر ، يتصاعد من خاصرتيها الى صدرها . ويعم تدريجيا اعلى جبينها . وخطواته تتباعد مرة اخرى . انها لن تلحق به . سوف ينتظرها . وتجمدت حيث هي واقفة .

هبة جديدة من رطوبة البحر ، اخترقت اعلى الشق في الثوب ، بين ثدييها . ونظرت الى الناس حولها ، كانوا يتكاثرون . وكانت الواجهات غاصة بالبضائع من كل انحاء الارض . والالوان رائعة مترفة . والهدوء يلف كل شيء ، بالرغم من سلاسل السيارات . والعرق والدبق والتعب ، يتسلق قدميها . وقررت ان ترفع علبة الدخان من الارض . ولم تعبأ هذه المرة بالورقة القذرة الى جانب العلبة . وكان عليها ان تتوقف اطول مما فعلت . كانت تحاول ان تعطيه سيجارة . وبقيت السيجارة بين شفتيها حتى التصقت بهما . وحين اشعلها لها وجدت صعوبة في فصل السيجارة عن شفتيها . وامتصت نفسا هائلا . نظرت الى رأس السيجارة . حسبت انها قد قضت على ربعها . ولكن السيجارة تشتعل هي الاخرى ببطء شديد ، في هذه الساعة من نهاية النهار ، وخلال هبات الرطوبة من البحر ، وفي حي مزدحم بالواجهات من كل بضاعة ، بالناس من كل بلد .

وسمعته يتابع حديثه من فوق رأسها :

ـ واعتقدت هي انها قد التقت بغريب جديد .. وعندما عرفت انني رجعت اخيرا ، راحت تبحث عني في كل مكان يمكن ان اقصده ، وخابرت الاصدقاء والمقاهي .. وحتى بعض البؤر . وحينما رأتني اقف الى جانبها عند بائع السندويش الذي اتخذت هاتفه قاعدة للوثوب الى

---

(١) فصل من رواية جديدة للكاتب تصدر قريبا جدا .

كل الامكنة الاخرى ، لم تصدق ، ولم تسمع ما قلته لها (هل تبحثين عن ماجد صدقي) ، فاستوحشت عيناها السوداوان ثم وثبت نحوي (يا لك من ماكر . انت هنا ، وقلبت العالم عنك ؟..) . لقد حسبت هي انها عثرت على غريب جديد ، يقضي معها ليالي الغرباء في مدينة المنفيين . وكنت احب عينيها السوداوين . احب كذبها ، وضعفها امام الكاذبين كلهم . ولم اكن انا ممن يستطيع متابعة مثل هذه الطقوس . لقد كانت الليلة باردة . والبحر تحول الى الفضاء ، يفرغ على المدينة من اعلى امطارا رمادية عاصفة . ودكان السندويش مبهوت كله . وسيارة صغيرة قرب الصيف تبني فراغا تافها ، جوفا بلا مطر وبرد وصخب السمـــاء والبحـــر .

وتلك المرأة ، يا لها من امرأة . لم يبدأ بيننا شيء ، ولم ينتـــه بيننا شيء . وانا رجل مرهق . وهي الى قربي لا تعرف كيف تقتحمني. وكل ما في العالم الخارجي ، يبحث عن دفء ملحد . وكلمانها هـــي الحاد . وتجاورنا في الفراغ الهارب من المطر ، هو الاخـر شيء شاذ ، ناب ملحد من بين اشياء المدينة الخاضعة كلها للعاصفة وللحياة الرمادية ولم تكن تعرف كيف تبدو جميلة . ولكنها مع ذلك تحسب نفسها قـادرة على اقتحام الرجال المصابين بالفيبوبة الدائمة امثالي .

كان ذلك في قلب الشتاء ، وكان برد الاقبية ما زال يسري فـــي عروقي ، ويتكلس في مفاصلي . ويدفعني الى التأتأة في كلامي . ومـــا كنت استطيع الكلام . وهي تريد ان تعرف كل شيء . اقلا اصدقها عن القتل ، عن السجن ، الذبح ، وبلاد الموت وراء الحدود .

وترتعد للبرودة في يدي . وكان لسانها الصغير الحاد لا يفتأ ينشر اسئلة . وانا ، بدون جواب . وينطلق الفراغ الاسود الداكن عبـــر دهاليز الامطار الرمادية في المدينة . اتدرين .. حسنا ، عـن آي شيء كنت اتكلم ، آه .. انك لا تزالين تعيشين بعلبة الكبريت . لا اظن انـك قادرة على التقاطها . لا احد وراءك ، يمكنك ان تنحني . انها علبتك ، على كل حال .. وانا لن ادخن الى وقت طويل ، فلن احتاجها .

طيب ، ماذا كنت اقول . هي شيء يريد ان يثور ، هي عاصفـــة من عطر . ولا شيء اكثر من هذا . ومن زمان طويل كانت تتمرد علي . كانت تجرب أن تتخطاني . وضعت دربها امـــام صخري ، وحاولت ان تفتت الصخرة وان تشق الدرب فوق فتات الصخر . انك ناحل ومتعب، وصوتك مبحوح ، وجلستك قربي ثقيلة كالحجر . متى اخرجوك ؟ انـت تدهشني لانك ما زلت حيا . لقد قتلوا هناك رجالا كثيرين . وبعضهـم مات بالرطوبة . ولكنك عدت .. لست فرحة . ولكننا التقينا ثانية .

هكذا تتحدث هي . وننطلق في فراغ السيارة الى المنعطفات كلهـا عبر عاصفة في مدينة البحر . ماذا كنت أقول . اوه .. ومـــا يفيدك هذا الكلام كله . سوف امضي بك الى جهة ما .. يوما ما . انك تحسنين الاصفاد . وقد اكون ثرثارا . صناعتي الثرثرة .. انني منذ اشهر لـم اتكلـــم .

***

ودارا حول منعطف اخر . وارتمت نظرته فجأة على طول ثوبهـــا الابيض المنسدل حول قامتها كهالة من نسيج الضباب الصامت . ومـــا زالت تضغط على علبة الدخان والكبريتة . وتتطلع الى رقبته ، الـــى طرف عينه ، يتوجه نحوها للحظات ايضا . وانحشر صبي بلون الرمل بينهما ، يفرض عليهما شراء علكة . عبث هو بشعره . ولم يعطه شيئا. بهت الصبي ، وتعلق بالفتاة مستنجدا . اعطته علبة الدخان . كل مـا تملك يداها .. ثم اتبعتها بالكبريتة .

اما هو فقد راقبها بدون انفعال . ولكنه سرعان ما تلهى باميركية عارية الكتفين والظهر . اشتم رائحتها . وقلب شفتيه .

ـ طيب ، وماذا كنت اقول . اتدرين .. ان من يخرج من السجن يحاول ان يتعلم الحياة من جديد . ولقد ارادت هي ان تدربني علـــى معاودة الحياة . ولكنني لم ارد ان اتدخل في شؤونها . كانت تبـــدو حرة . وكان علي ان اعود حرا . ولكن كيف .. انهم يصيحون . الساعة الثامنة . كل الكلاب الى النوم . من يرفع رأسه احطمـــه بالسوط . والآذان كلها تترقب الصوت الداوي من بين الاقبية . اسمي هذه الليلة، اسمه ، اسمنا . وتفتح ابواب الحديد . احذية الفولاذ تسحق انسانا ما . نادوا عليه ، على جاري . جسمه منذ اربع ليال ينقط قيحـا . ملفوف بالبطانية . ينادي عليه الجلاد . يفتح باب الحديد . ايد كثيرة تجره من فوق المصطبة . يخبط على اجساد اخرى نائمة بدون نوم . الجسم يجر الى الرواق . العمالقة يتمرنون ، ويرشون عضلاتهم بالماء . يقذف بالجم المقرح الى المسلخ مرة اخـــرى . الصياح . الصياح . دخيل الله ، دخيل عيسى ومحمد ، دخيل الرب اللي بتعبدوه . خائن. ناصري . مجرم . السلاسل على الجسد المقرح ، الكهرباء في اعضائه التناسلية ، احذية الحديد على رأسه . صراخ الحارس ايضا : النـوم يا كلاب . كل من يرفع رأسه احطمه . والدوي ، الدوي بـــين جدران الرصاص ، عبر الاقبية ، من الزنزانات الى الهاجع .

ماذا كنت اقول ، اجل كنت انوي ان اتعلم الحياة مـــن جديد . ولكن الصراخ . من الثامنة مساء الى الرابعة . والاجسام التي يعيدونها الينا . والانين وروائح الجروح . وجاري الذي لا ينفك عـــن الدعاء . والاخر الذي يسألني من صرخة الى صرخة : لا بد سيأتي دوري الليلة. ماذا اقول لهم ؟ سأصمت . وليكن ما يكون . لم يضربني احد في حياتي منذ ان اضعت ابوي في فلسطين . ابي لم يكن يضربني . وهؤلاء خمسة عشر عملاقا ومدير السجن ايضا ، كلهم يتعاونون ضدي . لن اعود حيـا هذه الليلة .

ولقد خرجت اخيرا . وهي سحبتني الى قبو اخر فـــي مدينة الرطوبة . وتنفجر اصوات اخرى . واجسام تذبح بطريقة اخرى . وهي الى قربي . تتشمم روائح العفونة من قبو التعذيب ، من هناك ، مـــن رابية الموت ، بجوار مدينة تعارك الموت .

ـ انت قاسيت بطريقة مباشرة . ونحن ،ماذا تظن ، لقد بنينـــا لانفسنا سجنا اخر في المنفى . نحن منفيون وسجناء .

ويرتمي شعرها الليلي في جو الدخان ، كنفثة من فم شيطان شفاف.

بعد دراسات وابحاث استغرقت عدة سنوات ، تمكن علماء الكيمياء من اكتشاف :

DUO SUISSE

الدواء العجيب الذي يزيل قشرة الرأس والحكـاك وبعض تساقط الشعر

مختبرات ديو سويس ـ سويسرا

الوكلاء العامون والموزعون

منيمنة ـ شارع البرلمان ، بيروت

ولكنهم يصرخون في هذا القبو ايضا . وانا اتيت من قلعة الاقبية ، من رابية جرداء الا من اشباح الجدران الصفـــراء العالية ، والاسلاك الشائكة . انها قلعة الالحاد تتحدى فراغ السماء حولها فوقها . وفي كل ليلة ترسل من بين القضبان اعمق صياح من البشر الذين استحالوا الى حيوانات للذبح .

الرابية الجرداء . والقلعة الصفراء فوقها . وشبه واد رمادي قرب الجدار الغربي . ووجه مكسو بلحية سوداء ، يتطلع من خلال قضبان نافذة صغيرة في اعلى الجدار . يتطلع الى البقعة السوداء في بطـــن ذاك الوادي الرمادي .

كانت بقعة السواد صامتة ساكنة ، كما هي ، منـــذ ان شاهدتها لاول مرة من النافذة الضيقة . وكان العمود ما زال قائمـــا وسطها . ويصعد الجبل خلفه بلونه الاصفر الداكن . واحملق اكثر ، كما لـــو انني احاول ان اكتشف ظلال الرجال الذين قيدوا الى ذلك العمود ، والى النار التي شبت في العشب الجاف حوله ، عندما اطلق احـــد الضباط الصناديد نيران رشاشه على الجثث التي اعدمت بعشرات مـن الرصاصات . ومع ذلك فان الضابط الهمام لم يثق بعد ، بان اصحاب الجثث قد تخلوا عن الحياة ، فلن يرعبوه بعد اليوم ، الا بعد ان حصدهم برشاشه ، وهم موتى مقتولون .. يا قاتل القتلى . ويصيح من ورائي (شكيب) . فمنذ ان اتوا به من (السويداء) وهو يهذي . انه يعتقد انه في قفص الاتهام . وان عليه أن يدافع عن حياته امام رئيس المحكمة العرفية . واحرق الضابط العشب تحت الجثث بنـــيران رشاشه . ويصيح شكيب من ورائي :

ـ يا سيادة الحاكم ، انني شاب لم اتجاوز بعد الخامسة والعشرين من عمري ، وقد علقت النجمة الثانية عندما اشتركت معك انت والمدعي العام هذا ، في القضاء على الانفصاليين . انني يا سيدي معروف لـدى اخواني بانني قومي عربي .. وابغض الانفصاليين . انني وحدوي وانتم تعرفون ذلك . لا .. انني انفصالي واعترض على الوحدة مع عبد الناصر. ان لي زوجة واطفالا وابا واما ينتظرون عودتي . لست خائنا . فلماذا تعدمونني . انني وحدوي .. وابغض الانفصاليين .. ومع ذلك ان شئتم فانني انفصالي جبان ..

ولربما اصابت النار بعض ثيابهم . ولكن النار لم تمسح آثـــار انهار الدماء التي سالت من اجساد ثلاثين رجلا ، اعدموا تباعا ، وخلال دقائق معدودات . فاصطبغت الارض بالرماد والـــدم . وتمسكت ذرات التراب بلونها الداكن هذا .

ولكن شكيب ، ينفلت من بين يدي (حازم) رئيس الهجع ، ليصعد الى المصطبة ، ويقف بين الاجساد المستلقية لصق بعضها ويتابع دفاعه:

ـ انني يا سيدي القاضي لم ارتكب ذنبا احاسب عليه . صحيح انني عصبي المزاج ، وحاد الطبع وانني لا اتحمل مـــن يناقشني فـــي عقيدتي . ولكن زميلي البعثي ، لم يحتمل مني سوى اهانة واحـــدة ولذلك وشى بي عندكم . لقد قلت له انه انتهازي .. وانهم جميعـــا انتهازيون يريدون أن يحكموا لوحدهم . نعم يا سيدي انك سوف تعدمني لاجل هذا فقط .. لانكم .. لانكم لا تريدون الوحدة . انا اعلم انكم مـا اتيتم بي الى هنا الا من اجل ان تذبحوني . انكم تذبحون عائلة كاملـــة معي . انا اعرف هذا .. اعرف كل شيء عنكم .. انتم بضعة ضبـــاط صغار وثبتم الى قيادة الجيش واحنكرتموه . فوالله لن اسكت عـــن هذا . لن ادعكم تقتلونني دون ان يسمع الشعب كلـــه دفاعـــي .. انني رجـــل ..

ويزمجر احدهم من اقصى الهجع :

ـ الى متى تتركونه يتكلم . اسكتوه ، اسكتوه والا جننا جميعا !

ومنذ ان اتيت الى هذا الهجع ، الرابع العلـــوي ، والسجنـــاء التسعة والاربعون ممددون على المصطبتين المتقابلتين ، ولا تزال عيونهم وحدها هي التي تتكلم . وتنظر جهة النافذتين العاليتين ، حيث قتـــل ثلاثون رجلا منذ بضعة ايام ، واحترقت الارض بهم .

لقد رفض بعضهم ان تعصب عيناه . بينما كـان الضابط المهندس الشاب يحاول ان يستجلي الامر ، دون ان يصدق فعـــلا انهم يريدون اعدامه . لقد كان ينادي على جلاديه دون جدوى . كان لا يطلب رحمة . ولكنه لم يفهم لماذا يريدون قتله .

هنالك ، فوق بقعة سوداء من الرماد والتراب اذن حدثت مجزرة. وقد رآها بعض المعتقلين تحت سمعهم وبصرهم من خلال النوافذ العالية. والبعض الاخر سمع الايعاز ، ثم اصوات البنادق الرشاشة وهي تحصد الرجال الموثوقي الايدي ، كل اربعة او خمسة الى عمود واحد .

وهكذا فعندما ترشهم الرصاصات ، تسيل دماؤهم وتختلط ببعضها، وتتساند اكتافهم وتخر رؤوسهم في وقت واحد ، ثم يسقطون الى اسفل العمود ، ويحترقون بالعشب الملتهب .

وهانذا ، وقد اتيت متأخرا بضعة ايام ، انعلق بهذا المنظر مـــن جديد ، ببقية المنظر ، ولا استطيع ان احيد ببصري عنه ، لا لارفعـــه قليلا نحو المنحدر الجبلي الاجرد . واصعد بعيني الى قمته البليدة . انه جدار اخر طبيعي ، يحمي خلفية السجن ، وراء جـــدار الاسلاك الشائكـــة .

امسك بيدي قضبان النافذة الصغيرة . واحاول ان اتذكر انـــي سجين ، انا الاخر ، وان ساحة الاعدام السوداء ، ما زالت تنتظر اخرين، وان احدا من مئات السجناء هنا ، لا يمكنه ان يصدق بانه لم يعد ثمـة اعدام . حتى اكبر السياسيين ما زالوا يتحسسون رقابهم ، بعـــد ان شاهدوا ذلك الموت الجماعي الاعتباطي يحدث امامهم ويصيب عشرات الرجال في دقائق . ومن بين هؤلاء من مروا امام (المحكمة العرفية) . وعاش بعض الوقت تحت انظار رئيس المحكمة . وتابع حركة رأسه الـى اليسار ، اي الى الموت ، الى اليمين ، اي : عودة الـــى الهجع فـــي السجن . لقد كان رئيس المحكمة يكتفي بأن يسأل المتهم عن اسمـــه وقطعته واين كان ساعة بدء العملية ، ثم يشير برأسه الى الحراس . ويتتابع الرجال وتتابع حركة الرأس . وابواب حديدية تفتح ثم تصفق. ثم ايعاز . ثم اصوات الرش . والدخان بعد ذلـك يتصاعد من العشب الجاف الذي احترق تحت جثث المذبوحين .

وكنت لا انام ، وكان محمود الى جانبي يتابع لهاثه . وكان مـــن لحظة الى اخرى يثرثر . ونسمع معا الى وقع الاقدام . والمنادي الاول قرب المسلخ ، والمنادي الثاني في الساحة والمنادي الثالث حارس الهجع. والاسم يدوي في الاروقة . بينما ما تزال اصوات معتقلين اخرين تنبعث من كل زاوية في السجن ، من الامام والجوانب والخلف . تلك ليال ، لم يعد المسلخ وحده يكفي . ولذلك انتشر (المحققون) فـــي غرف المكاتب ، الواقعة في مدخل السجن ، وفي بعض الغرف الجانبية ، وفي غرف اخرى تابعة للمطبخ وراء السجن .

كان الحراس لا يستطيعون تغطية كل هذا (الشغل) . فهم يعدون جماعات ووحدانا بين المهاجع والزنزانات وغرف التعذيب ، ينقلـــون المعتقلين ضربا وسحلا على الارض . وقسم اخر يتناوب عمليات التعذيب تحت اشراف المحققين ومدير السجن . وفي بعض الذروات من العزف الجماعي ، تأخذ المحققين والمدير معهم نشوة اللكـــم والعض واللبط ، وسلخ السياط ، وسيول من السباب والشتائم القذرة .

وكان محمود ينتظر دوره هذه الليلة ايضا .

ـ انني افكر ترى اين سيضربونني ، ليتهم يتركون لحمي ليجف قليلا ثم يعاودون الكرة . اتدري ان (جادو) يبحث عن اعمق الجروح في ظهري ليصوب السوط اليها . انه عقائدي كبير . طوله متران . امي قالوا له : هؤلاء خانوا الحزب . ولذلك فان الحقير لا يفتأ بعد كل ضربة سوط ان يتبعها بهذه العبارة التي لم يحفظ غيرها (خونة العروبة) !

يشير الي محمود ، فاعمل على مساعدته لينقلب نحو جنبه الاخر ، ومـن سلسلة الانين :

ـ المحقق .. ذلك المعروق الابرص ، ذلك المحامي المثقف العقائدي .. انه يدير المحرك الكهربائي بيده . يضغط علي عيني بكفيه . يسألني عن كل الرفاق الذين ساعدوني يوم الثامن من اذار .. الا ترى ، الا ترى

ـ التتمة على الصفحة ٦٦ ـ

الشمس خلف القضبان

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٤ ـ

يريدون ان ينتقموا من كل ضباط الثامن من اذار . انه هددني ليلة امس ان اجيب على اسئلته هذه الليلة والا طمرني بالرمل ..

واهمس في روعي : ولكن ليس من رمل في سجن المزة . الرمل في (الضمير .. الضمير) في ذلك المطار العسكري على مشارف الصحراء الشرقية .

وتمدد الهرة بين جدران القضبان ، وتمط عويلها . ويختلط بأصوات المعذبين . ويرتعد محمود . لقد حان دوره ولا بد .

ـ هل سيطمرني بالرمل ذلك المحقق المعروق الابرص . كما فعلوا مع خالد وبقية ضباط الطيران ؟

لم اعرف خالد الا بعد ان نقلت الى المستشفى العسكري بعد حوالي اربعة اشهر من تلك الليالي السوداء . ولدن خالد عندما رأيته كان قد تحول الى رجل اخر ، الى جثه ضخمة بدون ساقين . ساقاه استطالتان لحميتان لا حياة فيهما . كان يجرهما وراءه . كان يسير على عكازين .

ـ ماذا كنت اقول . طيب . اتدرين .. هناك اشياء تحدث في هذا العالم ونحن احياء . والزبانية احياء . ربما كانوا يسيرون معنا على هذه الارصفة . ربما يدخلون السينما ويجلسون معنا . لقد كان بعضهم تلامذة لي واصدقاء . كانوا يتأثرون بافكار عن الانسانية والحرية والحق ، حق الضعيف ضد باطل الاقوياء . كنت ادرس الاخلاق .. وكانوا هم زبانية المستقبل ، يستمعون مع الاخرين ، ويتحمسون ضد الشر والالم والظلم ... محامون واساتذة واطباء وضباط اصبحوا من مدمني الزنزانات . انهم يعيشون بيننا في السجن ، ياكلون ويشربون ويعبثون بضحكات عالية في حديقة السجن وحول (البحرة) الخارجية . ثم يتوزعون على غرف التعذيب ، وعندما يرجعون الى المدينة ، يذهب بعضهم الى زوجاتهم واولادهم . البعض يقبل زوجته ، البعض يتألم لمرض اولاده . لقد جعلوا الضابط الفلاني يبكي . وجعلوا المقدم الفلاني يستجير بالله . والاخر زحف على بطنه . واخر كاد ان يجن ..

خالد مثلا ، وعشرات اخرون من ضباط الطيران .. عذبهم واحد من زملائهم . كان لا يكتفي بضرب السياط والكهرباء واللكمات . كان يعلق الرجال من ارجلهم اياما بلياليها . تتدلى السنتهم . يدفع بالجنود الى ان يبولوا في افواههم . يضع رأس الضابط في فتحة المرحاض ثم يدفع (السيفون) ، ليغرق رأسه بالفاذورات . يلف الرجل بهم حول دولاب (المدحلة) الكبير ، ويدور به . واخيرا يأمر فيحفر الرجل لنفسه قبرا في الرمال ، ثم يطمر فيه واقفا حتى مسافة اصبع تحت انفه . ويترك تحت الشمس يتنفس الرمال .

قال خالد : لقد فعل بي الرائد (ص) كل هذا من اجل حادثة شخصية بيننا . لم يكن لي علم بالثورة ، وهو يعرف ذلك .

ثم يتابع جر قدميه في رواق المستشفى . كان له وجه طفل وعينا طفل ، روعنا مرة والى الابد .

لقد اخذوا محمود منذ اكثر من ثلاث ساعات . وهكذا يكون قد خضع للتعذيب حوالي اثنتين وسبعين ساعة متواصلة قسمت على عشر ليال متوالية . كان يحفر خطوطا على جدار المهجع وراءه تمثل عدد الساعات . ولكنه هذه الليلة لم يعيدوه الى المهجع . لقد كنت اصغي الى صرخاته . اصبحت اميز صوته واصوات كل الرفاق الاخرين . كان يصيح في شبه زئير وحشي . ولكن صياحه قد انقطع الان ..

احملق من خلال القضبان . ارى شبح (ابو الليل) يقترب . يقف الى جانب النافذة . انظر الى عينيه تحت سور من حاجب واحد كثيف .. في مثل هذه الساعة من كل ليلة ، وقرب الصبح ، يبدو (ابو الليل) اقرب الى الانسان :

ـ ابو نايل .. ماذا فعلوا بمحمود .؟

ـ ودون ان يدير وجهه نحوي :

ـ ذهبوا به الى خارج السجن .

ـ الى اين ؟

ـ لفوه وخرجوا به !

ومن العبث ان الحف بالسؤال . فلقد كان (ابو الليل) ، او (ابو نايل) كما اعتاد المساجين ان ينادوه اختصارا ، حارسا عملاقا من العضلات الملفوفة والعظام الحديدية . ومع ذلك فقد نسي اسياده تجويفا صغيرا داخل هذا الحجم الهائل المضغوط كعضلة كبيرة واحدة . ولقد كشف مساجين المهجع (الاول سفلي) الذي نقلت اليه اخيرا لادنو اكثر من (المسلخ) ، كشف هؤلاء عن ذلك التجويف الصغير ، ومن هناك راحوا يبنون جسر صداقة . صداقة نادرة بين السجان وسجينه في قلعة الموت .

**

وكانا يدوران حول منعطف اخر . وعند ذلك شعر انه بحاجة الى سيجارة . فنظر الى زميله . وقالت له عيناها : انسيت ؟ لقد اعطينا علبة الدخان الى بائع (العلك) . ولكنه شاهد شابا امامه يولع سيجارة:

ـ اتسمح لي بسيجارة !

ـ ولو يا استاذ لك العلبة كلها ..

ـ اترين انه يعرفني . لقد اعتدنا (هناك) ان نتقاسم كل شيء . وخلال الاشهر الثلاثة الاولى بعد (الكارثة) كانت السيجارة حلم الحياة، خاصة بالنسبة لسكان الزنزانات .

وعندما كنت في المهجع الرابع علوي ، وهو المهجع المخصص لكبار الضباط والسياسيين ، كنا نحيا حياة قبلية واحدة . وبالرغم من الازدحام الشديد ، وفي اوج حر الصيف ، خلال اواخر تموز وشهر

الشرق الأوسط .. مركز الاحداث العالمية
الشرق الأوسط .. مفجر الثورات والانقلابات
الشرق الأوسط .. منطقة الألغام الموقوتة في السياسة العالمية

فمن الذي يتتبع اخبار هذه البقعة من العالم

هل تنبعث من منابع بترولها الهائلة ؟ أم من مركز الستراتيجي الممتاز ؟ أم لأنه ممر الوصل بين ثلاث قارات بعملاقة السامة والخيرات آسيا وافريقيا واوروبا ؟ أم انت لها اسرارا لا تعرفها كثرة الناس ؟ كل هذه الأسرار ... والأخبار يسلط عليها الأضواء الكاتب السياسي العالمي

جورج لنشوفسكي

في كتابه الخطير

الشرق الأوسط في الشؤون العالمية

صدر حديثا في جزئين فاخرين ويطلب من عموم المكتبات في البلاد العربية

ثمن الجزء الواحد: ٤٠٠ ق.ل - ٥٠٠ ق.س - ٥٠٠ فلس

رعت الأدب العراقي الكبير
الأستاذ جعفر خياط

منشورات دار الكشاف
للنشر والطباعة والتوزيع

آب ، كنا نحاول ان نقضي النهار مستمعين الى احاديث القومية وقصص الثورات ، او يلعب البعض بالورق . وينصرف الكثيرون الى التأمل في اطراقة طويلة .

وعند المساء كان شباب المهجع من الضباط الصغار والطلاب يعقدون حلقات الاناشيد الوطنية . وبينما تتعالى صيحات الحراس من الطابق الاول . كان المهجع الرابع العلوي يتابع الغناء كله .

لقد تعلمنا الاناشيد من جديد . ورددنا كل ليلة اغاني الوحدة ونشيد الله اكبر .

وفي اليوم الثاني كان يلجأ مدير السجن الى حرماننا من العشر دقائق المخصصة للتنفس في الباحة الصغيرة خارج المهاجع .

كنا نعيش . نتقاسم السيجارة . نغني الاناشيد الوطنية . نصغي في الليل البهيم الى صراخ رفاقنا . كنا كالخراف في الحظيرة ناكل ونشرب ونسمن ، وننتظر دورنا في الذبح .

الرجل الذي يتنفس الرمل وجسمه مدفون حتى انفه . والرجل المعلق من قدميه منذ زمن طويل ، وبول الجنود في فمه الملتهب . والرجال المقذوف بهم الى قبور الزنزانات ينامون على وجوههم ويتنفسون عفونة جروحهم . والرجال الذين يصرخون ، يزأرون تحت رعشات الكهرباء ولسع السياط . وابو الليل وهو يصرخ على المعتقلين واحدا بعد اخر من اجل ان يناموا ، او آن يمضي بعضهم الى حيث لا يرجعون الا سحلا على الارض .

والنافذة الصغيرة الضيقة في المرحاض ، وعيناي من قضبانها الى بقعة الرماد الاسود . آثار الدماء . اصداء الايعاز . طلقات الرشاشات. ونشيد الله اكبر يتعالى فوق الصياح ، فوق قرقعات السياط ، فوق مواء الهرة الطريدة بين ابواب القضبان . يتعالى ذلك النشيد من تسعة واربعين سجينا في المهجع الرابع علوي . ومنذ الساعة الثامنة مساء حتى الساعة الرابعة صباحا .

وتفكر سلوى : ترى لو كان يعرفني حقا !

غير ان (كريم) بدا لها عاديا طبيعيا ، بصورة غريبة مع ذلك . فمنذ ان راحت تصطحبه في جولاته بين احياء (رآس بيروت) ، ويدور معه حول المنعطفات ، تقف معه امام الواجهات ، يتبادلان النظرات العابرة حول بعض الناس والوجوه والحركات . تقدم له السيجارة التي يفتقدها غالبا دون ان يحمل علبة في جيبه . منذ ان الفت ذلك الشرود المنساب عبر الشوارع والاحياء والمنعطفات الى جانبه ، وهي تتابع تلك النشوة السرية التي تلقاها معه ، وتعتريها بعض ذروات منها ، عندما يبدأ في الحديث عن بعض وجوه حياته المعقدة الضائعة ، والتي ما زال مع ذلك يشحنها كلها ، بحجومها غير المرئية واثقالها ، يشحنها خلفه . ولا يبدو عليه التعب منها ، الا عندما تنحني رقبته قليلا الى امام ، ويصيب الانحناء اعلى ظهره ايضا . وترى الى عينيه ، في تلك اللحظة ، فاذا بهما ساجيتان مغمضتان تقريبا .

ولكن (كريم) لا ينفك يسترسل بالحديث عن شخصيات كثيرة له ، كان تقمصها كلها . وعاصر بعضها البعض الاخر ، وتلاقت جميعها رغم تناقضها وتنافرها في النقطة الصماء من وجوده . تلك النقط التي يدعوها هو بهذا الاسم (الصماء) .. وهو يعني بها اشياء كثيرة ، منها انها الجذر من كل شيء ، ومع ذلك فهي ليست بشيء محدد .

ـ سلوى ، كل انسان يحمل مثل هذه النقطة الصماء في صميم وجوده . ومن هناك ، من تلك النقطة تحدث اللقاءات النادرة والخيبات، والمعجزات في الالم والمسرة معا . من هناك تتحرك الامور الى غاياتها المجهولة . ولكن اكثر الناس يتحركون تحت دوافعها وقد لا يشعرون بها . اما انا فقد كانت مشكلتي ان اصطدم ما امكنني دائما بها . ولذلك حفلت حياتي بافجع الهموم . بل ليست هموما على الاطلاق ، لمن يصنعها هو ، ويحملها ، ويدور بها شوارع المدن كلها .

ولو انني حدثتك عن محمود هذا ، اتدرين يا سلوى ، ليس مثل الرعب كاشفا للرجال . ولقد بحثت طويلا عن الرعب الحقيقي ، وعن الرجال امام الرعب .. ولو انني حدثتك عن جاري محمود في المهجع الاول سفلي الذي نقلت اليه ، بعد المهجع الرابع علوي ، وذلك لاسباب كثيرة سوف اشرحها لك فيما بعد ..

ولو انني حدثتك عن محمود هذا .. ؟

ثم تنحني قامة كريم الى الامام اكثر ، كمن يبحث عن القبو تحت الرصيف ، عن المهجع الاول سفلي ، الطويل المظلم ، الغارق في العفونة، عفونة المرحاض ، وعرق الرجال ، عفونة الجروح واللحوم الذبيحة الملقاة على المصطبتين هنا وهناك .

ولكن كريم لا يستطيع آن يستعيد الصور كلها . ولذلك يقبض على يد سلوى ، يدها البيضاء الهشة . يشد على اصبعين من اليد . تفتح سلوى فمها فجأة . تند منها صرخة صغيرة . ينتبه كريم . يتصبب جبينه الخمري بالعرق ..

ـ ولو انني حدثتك عن محمود .. ولكن ما الفائدة ؟ لقد قلت لك انهم اخرجوه ملفوفا .

وكانت هذه العبارة تعني اشياء كثيرة لدى السجناء ، سجناء رهن التعذيب والقتل .

وكانت سلوى تتذكر استاذها الفحل وهو يتحدث عن نظرية الشعر عند (مالارميه) . كانت له جبهة شماء تنضح بدم الشعر وخمر الشعر، وصوت راعد قاصف ، يهب من كهف ما بأعلى صنين . وتذكر وصف كريم له ، نسر صنين .

لقد كانت هي وصديقاتها يصبن بشبه رعب ونشوة معا ، عندما يتصاعد صوت الاستاذ مكبرا بآلهة النقمة التي تحرس بعض الشواذ من الرجال ، فتجعل حياتهم وقفا للالم الكبير غير المرئي .

ضغط كريم على اصبعيها . نشر نسر صنين اجنحته السوداء ليهوم بين الذرى الموحشة العارية .

ـ انت سجين الان ، وعليك أن تجيب على أسئلتنا ، لدينا طرق عديدة لانتزاع الحقيقة من صدرك الحاقد هذا ..

والجدران سوداء . وصرخاني . ووجه (جادو) المحتقن فوقي مباشرة . تقذفني عيناه بالشرر . قدماي الى اعلى . احدهم ورائي يخبط السوط على بنطاله . المحقق الابرص يكشر عن انيابه الطولانية الصفراء .

يتدحرج مدير السجن الى جانبي . يرفع (بصطاره) ارى اسفل البصطار . يتهشم وجهي بالمسامير . واسمع دوي المحرك الكهربائي . ترقص النار في عيني . البصاطير على وجهي .. صدري وبطني . السوط والعصا الفولاذية على أسفل قدمي . الكهرباء في جسدي كله. ثمة انسان اخر يصيح . لعله صوتي . لقد كنت اضغط وجه ابني بصدري كلما بكى لوحده في الليل . دعاني الاصدقاء (ماما) . بعد ان ماتت زوجتي ، أصبحت الاب والام لطفلي الوحيد .

عندما قبضوا علي . توسلت اليهم ان آتي بابني معي . لقد اقفلت (الدكان) . وولدي لم يتجاوز الخامسة من عمره . وليس له احد . لقد جلبوه معي الى هنا ..

اتوسل اليكم الا تعيدوني الى المهجع الذي كنت فيه مع ولدي ، ضعوني في الزنزانة هنا .. حسنا . سعيد ولدي ، سوف يعنى به اصدقائي المساجين الاخرون .

وتصيح سلوى مرة ثانية :

ـ اصابعي يا أستاذ كريم .. هل هو محمود الذي قبضوا عليه مع ابنه ؟.

ـ آه لا .. لو انني حدثتك عن محمود . لا ادري .. ولكنه شخص اخر . انه بقال .

وترى سلوى الى عيني الاستاذ . انهما ملتهبتان الان بسوادهما الطفلي .. ولكنه الرهيب ايضا .

ـ الوزن لا قيمة له . القافية ضرورية . ولكن الاهم هو الانفعال. اتدرون ما هو الانفعال ، ليس هو الشوق لشيء معين ، ليس هو الخوف والامل والحب والحقد . انه جذر كل هذه الموجات العابرة على سطح الخضم . ينبغي أن يحترس الشاعر من الخديعة . عليه آن يرفض

السهولة في المشاعر . ان الشعر ليس هـو الشعور ، ولكنه تدمير الشعور من اجل ما هو اعمق ، من أجل ما لا يستطيعه اي شعور .. اتدرون .

ـ اتدرين يا سلوى ، لو انني حدثتك عن محمود .. فمنذ ان نادوا على اسمي في المهجع الرابع علوي ، والتف حولي المعتقلون : لا بد انهم افرجوا عنك ، كنت واثقا من انني سوف انقل الى زنزانة او ما يشبهها. وحملت متاعي ، ولحقت بالشرطي ، هبطت الدرج الاسود ، رأيت الرقيب (جادو) قائما في الساحة وراء الباب الكبير . اشار الى الشرطي من خلال القضبان فتوجه بي الى رواق الطابق الاول . استقبلني ابو الليل بنظرة استطلاع ساخرة . فتح باب المهجع الاول . دخلت الى عالم جديد مشوب بضباب ثقيل عفن . ولم استطع ان ارى عشرات الوجوه التي توجهت نحوي مستطلعة كما هي العادة كلما ام المهجع سجين جديد . ولكني رأيت وجها نحيلا يقترب مني مبتسما . كان (محمود) هو اول من استقبلني في المهجع . وحمل عني بعض متاعي القليل . افسح لي مكانا عريضا الى جانبه . مد عليه (اليطق) . وخلال خمس دقائق كان لي مكان جديد بين عشرات من الزملاء الجدد الذين لا اعرفهم ، وسوف اعرفهم بسرعة .

ـ تنك ومكانس لبرا ، من لم يخرج بعد ، تنك ومكانس لبرا ، من لم يخرج بعد . ويفتح باب المهجع ، ويطل ابو الليل بشاربه الكثيف وهو يهز سوطا طويلا في يده . ينظر محمود الى بضعة مساجين يقفزون من امكنتهم في نهاية المهجع . ويسرعون في حمل المكانس والتنك ، ثم يهرعون خارجين ، بينما يضرب ابو الليل كل فرد منهم بسوطه الطويل وهو يكيل اقذر الشتائم .

ـ تلك هي (السخرة) يا استاذ . ربما لا تعلم عنها شيئا بعد . فوق ... هناك في الاعلى لا شيء من كل هذا . التمييز بين الطبقات حتى في السجن . لقد كنت في مهجع الضباط والسياسيين ، وهناك ليس من سخرة .. أما لاحظت الى الافراد الذين ينظفون مهجعك في الاعلى كل يوم ؟ انهم يأتون بهم من هذه المهاجع السفلية .

وقبل ان يتم محمود كلامه . كان صراخ ابو الليل يتعالى ثانية وهو يفتح باب المهجع :

ـ سخرة المطبخ الى هنا بسرعة هيا ، من لم يمش بعد ، سوف اقطع قدميه . ويدير الي محمود وجهه المصفر :

ـ وهذا نوع اخر من السخرة ، على هذه الفرقة ان تحمل المؤونة كل يوم من باب السجن الى اقصى نهايته ، حيث يقوم المطبخ . ثم ينضم بعضهم الى المساجين المخصصين لاعمال الطبخ . هنالك طلاب جامعيون واساتذة وموظفون ورجال شيوخ مقسمون على فرق السخرة، بين المطبخ وتنظيف اروقة السجن وغرف الادارة ، وخدمة الشرطة ، وتنظيف المهاجع العلوية والزنزانات .

ثم يغمز محمود بعينه :

ـ ولكن للسخرة فصائل أخرى .. انهم طابور خامس للمعتقلين، انهم ينقلون كل الاخبار للمعزولين في الزنزانات ، ويروون اخبار القادمين الى السجن ، ويصلون المهاجع ببعضها .. يقومون بخدمات لا حصر لها ، فضلا عن أنهم تتاح لهم أثناء التنقل فرصة التنفس والنزهة..

ـ أليس من (تنفس) هنا ..

ـ كلا يا استاذ . ان من لم يخرج الى السخرة لا يرى السماء مطلقا . فمنذ ان اودعوني هذا المهجع لم يسمح لي بالخروج اكثر من مرتين خلال شهر كامل . وكل مرة لا يدوم التنفس اكثر من عشر دقائق فقط ..

وتجول عيناه في جو المهجع المشبع بالرطوبة والابخرة الزرقاء ..

ـ ان الانسان يختنق هنا بالتدريج .. وهذا هو المطاوب تماما . هل أحصيت عددنا .. اننا نبلغ اليوم حوالي خمسة وستين رجلا . وهنالك من يأتي جديدا او من ينقل الى مهاجع اخرى او زنزانات .. وهكذا يتراوح عددنا بين الـ (٥٥) والـ (٧٠) فاكثر احيانا .الناس ينامون في (الميدان) كما ترى بين الاحذية والبصاطير .. ولسوف تشهد من حين الى اخر حفلات من النزاع من اجل انتزاع اصبع او اصبعين من المسافة بين رجلين .

ـ لقد عانينا نحن ايضا من هذا الضيق في الرابع علوي منذ اسبوعين . ولكن لم يبلغ العدد عندنا هذا الحد ابدا . لقد وصلنا الى الخمسين اما السبعين فهذا مريع حقا .

ابواب تفتح وابواب تغلق ، ودوي الحديد يرن بين الجدران الزرقاء والسوداء . ودفعات من رجال السخرة تدخل وتخرج . وبعضها يعدو والسوط في اثره . والرجال يعرفون بالتنك ، مكانس ، مماسح، سخرة فاذورات ، سخرة مطبخ ، سخرة مهاجع ..

ويسير ابو الليل متبخترا بين ستة مهاجع ، ثلاثة على يمينه ، وثلاثة على شماله . ويطل على النوافذ من حين الى اخر ، ويصدر اوامره بالسكوت . ويهدد بالسباب ، ويهول بالسوط في يده .

ههنا ، الرجال ممدون على بطانية او اثنتين . لا حراك بهم ، ينظرون جهة الفضاء ويغرقون في الابخرة . وقد يهمس جار لجاره . وقد يحاولان احيانا ان يلعبا الورق خفية .. ولكن شبح ابو الليل يترصد كل مخالف لتقاليد سجن المزة التي سنها يوما ما سنغال فرنسا ، وتوارثتها العهود (الوطنية) ، وكل عهد يزيد بحفنة من (تقاليد الانضباط) .

وتصيح سلوى ثانية :

ـ انك تضغط اصابعي يا كريم ، انك تؤلمني .

ويدوي بين صدغيها صوت استاذها ، وهو يتحدث عن نظرية الشعر :

ـ ان الشعراء الحضاريين هم وحدهم الذين ينبثقون كشهود على التحولات الكبرى في وجدان امتهم .. والام امتنا هي التي تصنع الثورة العظيمة ، والشعر العظيم . ولكن كل ذلك يحتاج الى تجربة الدم والتراب والظلم . فمن هو الشاعر العربي الذي ينهض من اعماق الاقبية ، من خلف الاسوار ليقول لنا الحقيقة يوما ؟ ..

وتتحول الاصداء الخافتة بين صدغي رأسها الى كلمات على شفتيها :

ـ كريم .. لقد كان يقشعر جسدي كلما استمعت الى الدكتور سامي وهو يتحدث عن الام الحضارات . كان يخيل الي احيانا من كثرة ما كان يكرر هذه الموضوعة ، انه يتحدث عن حقيقة معينة، واليوم احس بأن الصورة كانت في ذهنه دائما ، كما عشتها انت بين اسوار ذلك المعتقل الرهيب .

ويقف كريم ، وينظر الى موضع قدميه على الرصيف :

المسألة يا سلوى هي ان يعرف المرء كيف يميز حقا بين قضبان مرئية واخرى غير مرئية . ربما تعجبين ان قلت لك أنني كنت اعلم انهم يزمعون اعتقالي وارسالي الى المزة . لقد وشى بي احد(الاصدقاء). ومنذ ان خرج من بيتي احسست انه ذاهب رأسا الى المخابرات ، ليصفني عندهم باني اكثر الوحدويين عنادا ومشاكسة ، وانني اقاوم محاولة بعض قيادات الفروع في اعلان استنكار عملية الثامن عشر من تموز . ورغم يقيني باني ماض الى السجن ، فقد كنت كمن يتابع توجيها ذاتيا غريبا . لقد شعرت بحنين الى سجن حقيقي ، الى اسوار وجدران من حديد ، ونوافذ ضيقة . حنيني ذاك لم افسره قط . الم اقل لك مرة انه كان علي ان (اعيد النظر) وليس مثل السجن والرعب كاشفا للنفس وللاخرين .. لقد كنت اطلب السجن الحقيقي . وتلك هي احدى لعناتي الشيطانية ، فلا بد ان اخضع للعنة ..

**

يدوران حول منعطف اخر . انه لا يتحدث . ومع ذلك فهي تصغي . ادمنت الاصغاء . تستمع الان الى وقع حذائه الرتيب على احجار الرصيف . انه يسير بصورة عادية . اصوات حذائه هندسية الابعاد . رقيته عالية . وهي دون اذنه . وكتفه العريضة تحجب عنها المنظر الجانبي كله للشارع الضيق .

مطاع صفدي